مكتبة الشيخ زكريا

سلسلة

كلمات داعية

لقلوب واعية

(3)

خمس

مقـــالات

من الـفكـر والـقـلـب

زكريا على سلمان

آل قضاة

رقم الإيداع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي

فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ

مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ

الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ

وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ

بِهِمُ الْأَسْبَابُ *وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ

كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ

حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ

(البقرة:167) مِنَ النَّارِ

المقدمة

في كتابي الأول: (خمس مقالات حول المرأة) لفت انتباه القارئ إلى شيء من حكمة الله تعالى ورحمته وعدله ومنه وكرمه.

وفي كتابي الثاني: (خمس مقالات في مداخل الإيمان) لفت انتباه أخواني إلى هذا الدين العظيم، وما هو واجبهم نحوه.

وفي هذا الكتاب: (خمس مقالات من الفكر والقلب) رأيت لزاماً عليّ أن أتطرق إلى المواضيع التالية:

الموضوع الأول: هل لعاقل أن يلحد ويعتقد بأن الله غير موجود، وهل الحق أن نقول: إن الله تعالى موجود فقط ؟ أم الأصح أن نقول: إن الله تعالى واجب الوجود؟ بحيث يعرف الإنسان العاقل أن الله تعالى أحق بالوجود من أنفسنا؛ إذ أن الكون جائز الوجود، أما الله جل وعلا فإنه غني عن العالمين.

وقد كان هذا البحث منطقياً إلى أبعد حدود المنطق، ألزمت فيه الملحد بالحجة إلزاماً دون أن أرجوه ولو لمرة واحدة، ومع ذلك كان الأسلوب مبسطاً وواضحاً، وفي الوقت نفسه مقنعاً

الموضوع الثاني: أجلت فكري في أرجاء الكون وتفكرت في نعم الله تعالى على ذلك المخلوق الضعيف (الإنسان) بحيث سبِّح قلبه في عالم الشكر لذلك الخالق الحليم العظيم الكريم، شكراً يجعله يحسّ بجود المنعم إحساساً يدعم ما قرره عقله في الموضوع الأول.

الموضوع الثالث: القضاء والقدر، وتناولت فيه تشكيك الماكرين في عدل الإله الحق الغني عن العالمين، الذي حرم الظلم على نفسه وجعله بيننا محرماً.

الموضوع الرابع: الموت، وحذرت تحذيراً قوياً من هذا الموضوع؛ ذلك أن الذي يرجع إلى الوراء خوفاً من العقرب قد يسقط عن الحائط الذي يمشي عليه، وبدلاً من أن يلدغه العقرب يتخطفه الموت. فنبهت الإنسان إلى ضرورة القيام بما هو مطلوب منه في هذا العمر القصير كي يفوز بالخلود السعيد بعد يوم الوعيد.

الموضوع الخامس: التوبة: وهي البداية الصحيحة لباقي الأعمال، إذ لا يستقيم العمل الصالح إلا بعد التخلص من أدران الخطيئة. ثم لاحظت أن كثيراً من الشباب بل والشياب أيضاً يتحرجون من الصلاة لظنهم بأنها معقدة، فعرفتهم بنعمة الله في قوله تعالى، سورة الحج آية(78) وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ وبينت بوضوح أنه لا يحول بين المسلم وبين الصلاة الواجبة عليه شيء

وبعد: فإن هذا الكتاب جاء يقطر من صميم قلبي ووجداني حباً بهذه البشرية - التائهة إلا إذا اهتدت بهدى الله - مدعماً بأدلة عقلية واعية، أخذت من شبابي أربع سنوات كاملة في التفكر والحيرة والمراجعة والمدارسة.

وما هذا إلا جزء يسير مما يجب عليّ من شكر لله تعالى على نعمة الهداية لفهم هذا الدين الكريم، الذي لو فهمه أعداءه حق الفهم ما عادوه، ولو فهمه أهله حق الفهم ما تركوا الدعوة إليه ساعة.

وإنني أدعو الله تعالى أن يهيئ لهذه الأمة أمر رشد يعز به أهل طاعته، وينشر فيه سحائب هدايته . إنه على ما يشاء قدير.

وإنني لأرجو ممن وجد خطأ أن يقومني وممن استفاد أن يتفقدني بدعوة صالحة لعل الله سبحانه بها أن يرحمني

والحمد لله رب العالمين

زكريا علي سلمان

آل قضاة

الفصل الأول

واجــب الوجــود.

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وعلى من سار على دربه واستن بسنته إلى يوم الدين، وأحسن الله ختامي وختامكم، وفرج عنا وعنكم أجمعين، أما بعد

فقد قسمت هذا الموضوع إلى عدة جولات مع الذين ينكرون وجود واجب الوجود وهو الله تعالى ذكره وتمجدت أسماؤه، حتى يسهل على القارئ الكريم التسلسل في ترتيب الأفكار للوصول إلى الغاية المرجوة، ولكي يكون نقاشنا مع الملحدين هادئاً ومنطقياً وموضوعياً حتى نلزمهم بالحجة والبرهان القاطع

الجـولة الأولـى

نبدأ بقوله تعالى

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ*أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ :

(الطور(35) بَل لَا يُوقِنُونَ

وقبل أن نكمل يقاطعنا الملحد قائلاً: أنا لا أؤمن بوجود الله، فكيف لي أن أؤمن بالقرآن، وإيماني بالقرآن إنما هو فرع عن الإيمان بوجود الله؟.

نقول له: إن القرآن الكريم يتضمن ثلاثة أشياء وهي:

1- أمور إخبارية،2-وأمور تشريعية،3-وأمور منطقية، وغيرها.

فالأمور الإخبارية: كقصة سيدنا يوسف عليه السلام، وهذه يستطيع الملحد إنكارها في البداية.

والأمور التشريعية: كالصلاة والصيام والزكاة، وهذه أيضاً لك أن لا تلتزم بها حتى تؤمن بالقرآن .

أما الأمور المنطقية الواردة في القرآن الكريم فلا تستطيع أن تتهرب منها، كقوله تعالى في سورة البقرة الاية(196)

فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ يقرر أن: 3+7=10، فهل تستطيع أن تنكر هذه الحقيقة، وتقول: أنا لا أؤمن بأن3+7=10 لأنه قرآن؟

ولا ومن هنا يبدأ نقاشنا مع هؤلاء بمنطق القرآن ورياضياته التي يقرون بها، يستطيعون إنكارها

ولنرجع إلى قوله تعالى(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ*أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُون) لنناقش الملحد بمنطق هذه الآية فنرتبها ترتيباً منطقيا حتى يسهل علينا وعليه النقاش.

القانون المستنبط السؤال

بطلان الترجيح بلا مرجح هل الكون خُلق من لاشيء ؟ أم خلقوا من غير شيء

بطلان الدور والتسلسل هل الكون خلق نفسه بنفسه ؟أم هم الخالقون

السبر والتقسيم هل هناك شيء هو الذي خلق الكون؟ أم خلقوا السماوات والأرض

عدم الوجدان لا يقتضي عدم الوجود - بل لا يوقنون

وبناءً على ما تقدم نسأل الملحد هذه الأسئلة الثلاثة :

1-هل الكون خلق من لا شيء؟

2- أم أن الكون خلق نفسه بنفسه؟

3- أم أن هناك شيء هو الذي خلق هذا الكون؟

ثم نضيف: وهل هناك احتمال رابع لديك؟

فيجيب : لا ليس هناك احتمال رابع.

فنقول: أما السؤال الأول: فجوابه النفي؛ لأن قانون المنطق يسند كلامنا، وهو قانون يعرفه كل عاقل وهو انه: لا رجحان بدون مرجح، ولا فعل بدون فاعل، ولا حركة من غير مؤثر، ويسمى هذا بقانون: بطلان الترجيح بلا مرجح.

وزيادة في الإيضاح نقول: لو أن تاجراً كان يجلس في متجره وحيداً وليس في المتجر جريان للهواء، وبعد قليل لاحظ أن إحدى كفتي الميزان تصعد والأخرى تنزل، دون أن يرى أي مؤثر خارجي يفسر له هذه الظاهرة، ثم تكررت هذه العملية عدة مرات، فماذا سيفعل صاحب الدكان (المتجر) بعد أن يتأكد من عدم وجود أي مؤثر خارجي؟

حتماً سيولي هارباً : لأنه يوقن بأن تأرجح كفتي الميزان لا يمكن أن يكون من غير سبب، وبما أنه لم يدرك السبب، فربما أن شيطاناً هو الذي يلعب بكفتي الميزان، فلا بد من الهرب.

وهذا هو أصل قولنا بقانون:" بطلان الترجيح بلا مرجح" وهناك أمثلة على ذلك هي أهون وأوضح:

فلو أن إنساناً دخل إلى بيته فوجد زجاج النافذة مكسوراً، فسأل زوجته وأولاده وجيرانه، فلم يجد عندهم جواباً، فهل سيقول: إنه انكسر من لاشيء؟ أم سيقول: لعل الهواء هو الذي كسره؟

إذا فلا يمكن أن يحدث فعل بلا فاعل، ولو كان هذا الفاعل هواءً.

وبهذه الأمثلة وغيرها، تتضح لدينا فكرة قانون: "بطلان الترجيح بلا مرجح".

فإذا كان الميزان الذي ترجح إحدى كفتيه بقطعة طبشورة أو أقل منها، لا يمكن أن تترجح بلا مرجح، فكيف يكون هذا الكون كله موجوداً بلا موجد؟!.

قصة: وافق الإمام أبو حنيفة- رحمه الله - على مناظرة أحد الملحدين أمام حشد من الناس بينهم الخليفة بعد صلاة الظهر مباشرة، إلا أنه تأخر إلى ما بعد صلاة العصر ، وتعجب الناس كثيراً لتأخره؛ إذ ليس من عادة أبي حنيفة أن يتأخر عن موعدٍ أبداً- كما هي حال المسلمين الحقيقيين-، وعندما حضر أبدى تأسفه الشديد لما حصل، وعلل سبب التأخير قائلاً:

لقد وقفت على شاطئ النهر انتظر زورقاً يحملني إليكم، ولكن دون جدوى، وفجأة فإذا ببعض الخشب يتساقط من الأشجار، ويتقطع بلا منشار، ثم يصطف بجانب بعضه بعضاً، ورأيت المسامير تتطاير من هنا وهناك فتدخل في الأخشاب المتراصّة، وتثبتها ببعضها وأنا أنظر إليها حتى أصبحت زورقاً، فركبت به وأتيت إليكم.

فبادره الملحد من بين جميع الحاضرين قائلا: ألا يكفي أنك تأخرت عن الموعد حتى تعتذر إلينا بهذا الهراء الذي لا يصدقه عاقل ولا مجنون؛ إذ كيف يحدث هذا بلا محدث !، ويصنع القارب بلا صانع ؟

فقال أبو حنيفة- رحمه الله -: أتعجب من هذا ولا تعجب من هذا الكون بسمائه ونجومه، وجباله، وبحاره أن يتكون بلا خالق له حسب قولك؟

(فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)البقرة 259

.إذاً: فالاحتمال الأول وهو أن الكون خلق من لا شيء:هو شيء باطل عقلاً

ثم نأتي للاحتمال الثاني وهو: أن الكون خلق نفسه بنفسه، وهذا باطل أيضاً، وبطلانه أوضح من بطلان الاحتمال الأول، ولكن لا بد من توضيح بعض الأمور تتميماً للفائدة :فنقول

إن هناك قانونان: الأول: قانون بطلان الدور، والثاني: قانون بطلان التسلسل، فالدور : هو أن يعتمد(أ) على (ب) من كل الوجوه، بينما يعتمد (ب) على (أ) من كل الوجوه :أيضاً، ولنضرب لذلك مثالاً

ذهبت إلى كلية الشريعة لكي أسجل فيها، فاشترطوا علي أن أتم دراسة اللغة العربية أولاً، فذهبت إلى كلية الآداب كي أدرس اللغة العربية، فقالوا لا نسمح لك بدراسة اللغة العربية إلا بعد أن تكون قد أتممت الدراسة في كلية الشريعة، فعدت إلى كلية الشريعة مرة أخرى فأعادوا عليّ نفس الكلام، ثم عدت إلى كلية الآداب فأعادوا عليّ الكلام .نفسه، وهكذا

فهل هذا يكون منطقياً أو معقولاً؟ أم أن في الأمر خطأ ما؟ وأن هنالك حلقة مفقودة؟

.الكل منا يعرف بأن هذا الكلام غير ممكن عقلاً، وهذا معنى قولنا :بطلان الدور

أما بطلان التسلسل فهو بحسب المثال السابق: أن كلية الشريعة طلبت مني أن أذهب إلى كلية الآداب، وكلية الآداب طلبت مني أن أذهب إلى كلية القانون، وكلية القانون طلبت مني أن أذهب إلى كلية الطب، وكلية الطب طلبت مني أن أذهب إلى كلية الفنون، وكلية الفنون طلبت مني أن أذهب إلى كلية الهندسة، وهكذا إلى ما لا نهاية، .فهل هذا معقول أيضاً؟ بالتأكيد أن هذا غير ممكن طبعاً، لأنه خطأ 100%

ومثال آخر: فلو دخلت إلى غرفة فوجدت فيها رفاً طويلاً يحمل كتباً كثيرة، وكل كتاب منها يستند إلى الذي بعده، وكان آخر الرف يدخل في نافذة مفتوحة إلى غرفة أخرى، فلم تستطع أن ترى نهاية هذا الرف، ولا نهاية الكتب .

فهل تقول: إن هذه الكتب ستبقى مستندة على بعضها إلى ما لا نهاية، أم تقول: إنه لا بد من وجود شيء تستند إليه آخر هذه الكتب حتى لا تقع على الأرض؟ بغض النظر عن هذا الشيء إن كان حائطاً أو أي شيء آخر، المهم وجود هذا الشيء.

وعلى كل حال فلا بد من أن نصل إلى قرار، بوجود بداية- هذا إن كان حوارنا موضوعياً- وإلا كان جدلنا جدلاً بيزنطياً لا فائدة فيه ونصل إلى السؤال التالي: هل البيضة من الدجاجة أم الدجاجة من البيضة؟ وهكذا يتضح لدينا ثبوت بطلان الدور والتسلسل.

وإذا كان الكون قد خلقته نفسه، ونفسه خلقتها نفسيتها، ونفسيتها خلقها نفوسها، ونفوسها خلقها نفوستها، وهكذا، فمن الذي خلق الكل؟.

ثم شيء آخر: من الذي يستطيع أن يقول: أنا خلقت نفسي بنفسي، ولا أحد أوجدني، فاحتمال أن الكون خلق نفسه بنفسه ، احتمال باطل ومرفوض .

فإذا كان الاحتمال الأول باطلاً، والاحتمال الثاني باطلاً، فلم يبقَ إلا الاحتمال الثالث، وهو الاحتمال الصحيح بأن الكون لا بد له من خالق

وهذا الإلزام بالاحتمال الثالث، لا يحتاج إلى دليل؛ لأن هناك قانوناً منطقياً اسمه:"قانون السبر والتقسيم"، وهذا القانون يستعمله جميع الناس بما فيهم الأطفال الصغار، فالطالب في الصف الأول الابتدائي يأتيه السؤال التالي:صل بين الكلمات التالية

ترضع القطة	العشب
يأكل الخروف	البيضة
تضع الدجاجة	وليدها

فإذا استطاع الطالب أن يصل بين اثنتين من هذه الجمل الثلاث، فإن الجملة الثالثة تكون معروفة بسهولة، وهذا هو قانون السبر والتقسيم باختصار.

وهذا ما تفعله الشرطة للوصول إلى الجاني بسهولة ويسر، فإنها تتهم كل من يحتمل أن يكون له علاقة بالجريمة، ثم تبدأ باستبعاد التهمة عنهم واحداً بعد واحد -بالنظر إلى ظروف كل واحد منهم، والإثباتات التي يستطيع أن يقدمها لنفي التهمة عن نفسه- حتى يتم حصر التهمة بعدد محدود من المتهمين، ثم تستخدم هذا القانون مرة أخرى حتى يبقى في النهاية المجرم الحقيقي بعد محاصرته بالأدلة والشبهات، وأخيراً يعترف المجرم حين يتيقن أن لا فائدة من الإنكار.

وحين نتفكر في قوله تعالى(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ*أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ)

نجد أن الآية قد ناقشت الملحدين نقاشاً منطقياً دقيقاً ومقنعاً، بل إن المنطق فيه صعوبة، ولكن الآية فيها راحة للنفس، وتقوية الضمير، وتقريع للملحدين

وانظر معي إلى آخر الآية(أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُون)إن الذي ينكر وجود الله تعالى هو إنسان جاهل، بل أحمق لا يعرف ما هي أسرار هذا الكون، لأنه لو عرف أسرار هذا الكون لما وجد لهذا السؤال في نفسه مجالاً، ولأيقن بوجود الخالق العظيم.

إن في هذا الكون نجوماً مثقوبة، لو وضعت الكرة الأرضية في ثقبها لدخلت من أوله وخرجت من آخره دون أن تصطدم، كما يدخل الخيط في حبة المسبحة دون تلعثم.

كما إن الشمس يدور حولها تسعة كواكب ، وحولهن (32) قمراً، والشمس وما حولها تدور في مجرتنا هذه، ولكن لكي تتم دورة واحدة لا بد لها من مائتي مليون سنة، وما مجرتنا هذه إلا مجرة من ثمانين مجرة تم اكتشافها لحد الآن، وما لم يتم اكتشافه الله أعلم به، ثم يأتي إنسان فيضع يده في جيبه ثم يقول: أرني الله! فلو أمعن هذا الملحد في هذا الكون لما تطرق إليه الشك ولو للحظة : بأن مدبر هذا الكون هو إله عظيم لا يماثله شيء.

وللاستزادة حول هذا الموضوع أحيل القارئ الكريم إلى بعض الكتب التي ناقشت الموضوع باستفاضة، كي يزيد يقينه ويقوى إيمانه،ومن هذه الكتب:1. كتاب الله والعلم الحديث /2. كتاب الطب محراب الإيمان3/.كتاب الإنسان ذلك المجهول/4.كتاب الطب في القرآن الكريم5/.كتاب العلم يدعو للإيمان، وغيرها كثير.

كتابي خمس مقالات في مداخل الإيمان فصل الإعجاز العلمي في القرآن ، وحبذا الطبعة الثانية

وأما تذييل الآية بقوله تعالى:

فهي قد زينت مكانها كالدرة في وسط العقد؛ إذ لو سئلت عن شيء لا بَل لَا يُوقِنُونَ تعرفه فغالباً ما يكون الجواب: لا أدري، ومعنى لا أدري: أن هذا الأمر المسؤول عنه جائز الوجود، لأن الاحتمالات للأشياء ثلاثة:

واجب الوجود/جائز الوجود/مستحيل الوجود.

.فواجب الوجود: ما يستحيل عقلاً عدمه، كالفعل لا بد له من فاعل

كما أني لو سألتك هل صحيح أن: 1+1=2 لكان الجواب:نعم، وهذا هو الحق ، وهو واجب الاعتقاد به.وكقولنا: إن الكل أكبر من الجزء فالإنسان مع رأسه أكبر من رأس ذلك الإنسان نفسه.

أما مستحيل الوجود: فهو كقولنا: إن الجزء أكبر من الكل، وهذا باطل قطعاً

أما جائز الوجود: فإنه يحتمل وجوده، ويحتمل عدمه، ولذلك فحين أسألك عن شي لا تعرفه، تقول لي: لا أدري، بمعنى أن ذلك جائز الوجود، وجائز العدم، وليس عندك دليل على ترجيح أحد الوجهين؛ لأنك لو أردت أن تنفي وجود هذا الشيء للزمك أن تبحث في كل الوجود لتتأكد بأن هذا الشيء غير موجود.

فلو سألت عن شيء أسمه هم هم بم بم لما استطعت أن تنفي وجوده، لأن إنكار شيء جائز الوجود هو من أصعب الصعوبات، فهل يستطيع الملحد أن ينكر وجود الله تعالى الذي لا يحده زمان ولا مكان؟

فإذا كان لا يستطيع أن ينكر وجود هم هم بم بم ، وهو شيء غير معروف ولا مفهوم، وفي الوقت نفسه ينكر وجود الله الذي يعرفه كل عاقل، ومع ذلك يبقى يدعي لنفسه المنطقية، فهل هذا عاقل؟

ولذا فإن غاية ما يستطيعه الملحد أن يقول: إنني لا اعرف الله، أما أن يقول: إن الله تعالى مستحيل الوجود فلا يقبله منه عاقل

اليقين يذهب الإلحاد:

وعوداً إلى قوله تعالى:

بَل لّا يُوقِنُونَ نجد أن معناها: أنهم لا يستطيعون أن يقولوا: إن الله حتماً غير موجود، هذا من الناحية المنطقية.

أما من الناحية العملية فإن الملحد يبقى منكراً لوجود الله تعالى، حتى يأتيه الموت، فإذا جاءه الموت وعرف بحتمية مفارقته للدنيا بأسرها، وأنه سيدخل مرحلة أخرى، سأل نفسه: هل صحيح أن هنالك إلهاً، وهل سيحاسبني على ما فرطت؟

ولكن هذا السؤال جاء متأخراً، فلم يعد هناك متسعاً من الوقت لتصحيح ما أفسده طيلة حياته، بل لم يبق مجال إلا لقول الحق، ولكن أين هو الحق؟ هل فيما قاله المؤمنون بوجود الله ؟ إنها مصيبة إذاً؛ لأن عذاب الآخرة ينتظره، أم انه الفناء المطلق...

ولعمر الحق: إنها مصيبة أعظم، إذ انه سيسأل نفسه، ما هو الفناء المطلق؟ فهو لم يعرفه ولم يجربه فكيف يؤمن به؟! وكيف سيتعامل معه؟ وصدق الله العظيم

بكل ما يحمله عدم اليقين من ريبة وشك، وتردد وحيرة، وتظل ترن في بَل لّا يُوقِنُونَ أذنه : بَل لّا يُوقِنُونَ...بَل لّا يُوقِنُونَ... بَل لّا يُوقِنُونَ، ولذا فإن أحد الملحدين الكبار عندما حضرته الوفاة قال : نادوا لي رجال الدين.

الجولة الثانية :

يذهب الشيوعي إلى أستاذه مستجيراً به من الإيمان، الذي سيلزمه بالصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد والأمانة، ومراقبة الله عز وجل، فيقول لأستاذه: ألحقني يا أستاذ فإن الإيمان يطاردني، فيعلمه أستاذه العلم الضار ليحاجج المؤمنين به، ثم يعود رافعاً رأسه صارخاً بأعلى صوته بثقة:

إنكم تقولون: إن الكون مخلوق، ثم تقولون: إما أن يكون خلق من لاشيء، أو خلق نفسه بنفسه، أو خلقه شيء آخر.

أما أنا فأقول لكم: إن الكون ليس له بداية، فهو يحتاج إلى خالق؛ لأن القاعدة المنطقية تقول: " إن الذي ليس له بداية لا يحتاج إلى خالق" فهل تستطيعون أن تنكروا هذه القاعدة؟

ثم يضيف قائلا: بالأمس حاججتموني بالمنطق وقواعده، فهل تنكرون

أن الذي ليس له بداية لا يحتاج إلى خالق"؟! وهذا الكون ليس له بداية فلا حاجة " لشيء لكي يبدأه من نقطة الصفر؛ لأنه بعيد القدم لدرجة أنه أزلي، وأن عمره يعادل ويزيد عن اللانهاية.

نقول له: هدِّئ من روعك، فنحن حين جادلناك بالأمس بالمنطق كنا في غاية الهدوء معك، إن المنطق منطق لا ننكره أبداً، ونحن نقول معك: "إن الذي ليس له بداية لا يحتاج إلى خالق" ولكن إياك أن تنكر هذه القاعدة بعد قليل، لأننا سنلزمك بها، فاكتبها ووقع على أنك آمنت بها، فيقول: نعم

فنقول له: صحيح " أن الذي ليس له بداية لا يحتاج إلى خالق" ولكن من الذي قال لك إن الكون ليس له بداية؟

ولكن لا بأس ، فلا بد أن نوضح لك ما معنى أن الكون ليس له بداية.

فلو قال لك صبي: إن عمري عشرة سنوات، لعرفت أن لهذا الصبي بداية،

وكذلك لو قال لك صاحب العمارة التي تسكن فيها: إن عمرها مائة سنة لأيقنت بأن لهذه العمارة بداية،

ولو قال لك صاحب زيتونة: إن عمرها ألف سنة، لحكمت بأن لهذه الزيتونة بداية أيضاً،

ولو وجدت كهفاً قديماً فحللت بعض الأشياء الموجودة فيه فعرفت أن عمره مائة ألف سنة، فهذا يعني أن لهذا الكهف عمراً محدداً وأن له بداية لم يكن موجوداً قبلها،

ولو وجدنا قطعة يورانيوم قد تحولت إلى رصاص، وأن هذا يعني بأن عمرها كذا مليون سنة، فإن ذلك يعني أن لها بداية

إذاً فكل ما تحصر عمره بالأرقام؛ فإن له بداية، وكل ما تحصره الأرقام فهو محدود، فهل يستطيع إنسان أن يكتب رقماً لا يستطيع إنسان آخر أن يكتب مثله أو أن يزيد عليه؟ بالطبع لا، فما لا نهاية تعني رقماً لا يستطيع أحد أن يزيد عليه، وهذا مستحيل.

فلو أن رجلاً كتب أرقاماً على حائط طويل- ولو كان هذا الحائط هو سور الصين- لكانت الـ ما لانهاية أعظم منه، فهل عرفنا الـ ما لانهاية؟ وهل عرفنا ما معنى قول " الملحد" إن الكون ليس له بداية

.وهل يصدق أحد أن الكون ليس له بداية؟ بالطبع لا

أما الدليل على أن الكون له بداية فهي: الدوران، والشمس، والقمر، واليورانيوم، والضوء، والمتانة، وتقدير عمر الأرض، والبحار، والصخور، والجبال...كل هذه الأشياء وغيرها، تدلنا بصورة قاطعة على أن الكون له بداية، وإليك شرح هذه الأدلة

إن الدوران : يقتضي البدء من نقطة ما، فلو لوحت بيدك على شكل دائري عشرات المرات، ثم توقفت، فلا بد أن تجد نفسك قد توقفت عند نقطة معينة، ثم حاول أن تتذكر من أين بدأت فستجد أنك بدأت أيضاً من نقطة معينة، وهكذا الدوران لا بد أن يبدأ من .نقطة معينة

ولو أتينا بعداد سيارة ، وعرفنا منه أن هذه السيارة قطعت مليون كيلومتر، لعرفنا بأن هذه السيارة قبل أن تقطع هذه المسافة كانت واقفة في المعرض لم يدر عجلها دورة .واحدة

إذاً فالدوران لابد أن يبدأ من نقطة، وهذه قاعدة منطقية فهل عرفتها أيها الملحد؟ يقول نعم.

نقول له: إن الأرض تدور حول الشمس، ولا بد أنها بدأت من نقطة، وما دامت كذلك فإن لها بداية، فهي حادثة، ولا بد لها من محدث.

وأما الشمس: فإنها قد توقدت واشتعلت منذ ملايين السنين، والنار التي تشتعل لابد لها من أن تخبو، ولكن بما أن الشمس لم تخبو لحد الآن ولم تنطفئ نارها فإن لها بداية، وستكون لها نهاية أيضاً، وبما أن الشمس من ضمن هذا الكون فهذا يعني أن الكون له بداية، وهذا ما نريد أن نصل إليه.

ولمزيد من التوضيح نقول: لو أن رجلاً كان يملأ المدفأة بالوقود كل يوم، وهذا شيء مزعج بالنسبة له فأراد أن يتخلص من هذا الإزعاج، فوضع صهريجاً كبيراً على سطح المنزل ووصله بالمدفأة، فإنه سيستريح من الإزعاج لفترة طويلة، ولكن ليس للأبد، فلا بد أن يأتي يوم وينتهي فيه الوقود الموجود بالصهريج بالرغم من كبر حجمه

فالأبد والأزل شيء خطير جداً، وفهمه صعب للغاية، وكذلك فإن الشمس لها وقود، وبما أنه لم ينتهي لحد الآن، فمعنى هذا أن لها بداية، وهذا هو المطلوب

وأما اليورانيوم. فمن المعروف أنه يتحول بعد مدة طويلة إلى رصاص، وقد تحولت بالفعل قطع منه إلى رصاص، ولكن يوجد قطع كثيرة من اليورانيوم لم تتحول بعد، مما يثبت بأن الأرض لها عمراً محدداً، وبما أن لها عمراً فلا بد أنها بدأت من نقطة، وهو المطلوب.

الضوء. يقول علماء الفلك: إن بعض النجوم لم ترها أعيننا، ولم يصلنا ضوءها حتى الآن،مع أنها تسير بسرعة(300.000)كم/ثانية، ومعنى ذلك أن الكون له بداية، وهو المطلوب.

المتـانة. وجدت الأرض وفيها الجبال، ولكن الليل والنهار، والمطر، والرياح، تأخذ من هذه الجبال فتنحتها رويداً رويداً، وهذه ظاهرة واضحة خاصة في المناطق الصحراوية، فتجد بعض الجبال قد تفتت،ولم يبق منها إلا صخرة كبيرة، أو صخرتان فوق بعضهما، وهذا يدل على قِدَم عمر الأرض، وفي الوقت نفسه يدل على أن هذه الجبال لها عمراً محدداً- حتى وإن قدر بملايين السنين- لكنه ليس للأبد؛ وذلك لأنه لو كان عمر الأرض يساوي اللانهاية فمعنى ذلك أن متانة الأرض والجبال قد انتهت ؛

وبما أنها لم تنته بعد، فمعنى ذلك أن للأرض عمراً أقل من اللانهاية، وهو المطلوب

وقد أجمع علماء الجيولوجيا أن للأرض عمراً محدداً، ولكنهم اختلفوا في تقديره، فمنهم من قدره بالملايين، ومنهم من قدره بالمليارات، وهذا يعني أن للأرض بداية، وبما أن الأرض من ضمن هذا الكون، فإن للكون بداية أيضاً، وبما أن له بداية، فهو بحاجة إلى خالق، وهو المطلوب.

وهناك الكثير من الأدلة العلمية، والمنطقية التي تدل على أن للكون بداية، ولذلك فنحن لا نطعن بالقاعدة المنطقية: " أن الذي ليس له بداية لا يحتاج إلى خالق" ولكن طعنا بالاستدلال بها على الكون، وقد أثبتنا بالدليل القاطع بأن هذا الكون له بداية، وبالتالي فإن هذه القاعدة لا تنسحب على الكون0.00هذا كله يلزم الشيوعي بأن الكون له بداية، وإذا سلّم بذلك فعليه أن يسلّم أيضاً بأنه يحتاج إلى خالق، وإذا كان منطقياً مع نفسه فسيتوجه إلى الصلاة، ولكن...

.وعندما سمع الملحد هذا الكلام أحرج حرجاً شديداً، ثم ولى هاربا إلى أستاذه يستنجد به

الجولة الثالثة:

توجه الملحد إلى أستاذه قائلا: يا سيدي لقد جاءوا بأدلة كثيرة على أن الكون له بداية، ويحتاج إلى خالق، وأفحموني فلم أدر بم أجيبهم، أرجوك أن تخبرني بماذا أرد عليهم؟

ضحك الأستاذ ضحكة طويلة، وقال له:

يا مسكين، سأعطيك دليلاً واحداً يبين لك خطاهم، ولكن بشرط ألا تعود إليهم مرة أخرى؛ لأنهم يحاولون إفسادك، فأنت شيوعي مخلص، ومسؤول عن مجموعة من الشباب، والاشتراكية أخذت تجتاح العالم، وما هي إلا أيام قلائل وسيقضى على الدين الذي هو أفيون الشعوب،

.فقال له التلميذ أرجوك يا سيدي أن تعطيني هذا الدليل فأنا في حيرة من أمري

.الأستاذ: سأعطيك ولكن بعد أن تعدني وتحلف لي أن لا تعود إليهم

.التلميذ: لا والله، عفواً، لا وشرفي لن أرجع إليهم

.الأستاذ:أحلف مرة أخرى

.التلميذ: لا وشاربي لن أرجع أبداً

الأستاذ:أمسك على شاربك التلميذ: يمسك على شاربه، ويحلف مرة ثالثة

الأستاذ: أنت تعلم يا بني، وأنا أعلم، وكل الناس يعلمون، أن الشمس والقمر، .واليورانيوم...الخ، كل هذه الأشياء لها بداية

.التلميذ: إذاً لقد اتفقنا

.الأستاذ: لا، إن لها بداية، ولكن هذه البداية قبلها نقطة اللا بداية

.التلميذ: وكيف ذلك يا أستاذ؟ لم أفهم

الأستاذ: كانت السماوات والأرض والجبال كلها كتلة واحدة فتفجرت، وأصبحت تدور حول بعضها البعض، وقبل الدوران كانت كلها كتلة واحدة، وقبل اشتعال الشمس، كانت كلها كتلة واحدة، وقبل اليورانيوم كانت كلها كتلة واحدة، فهل أعطاك الشيخ دليلاً واحداً على أن ما قبل التفجر كان له بداية؟

.التلميذ: طبعاً، لا يا سيدي فأنا أعرف أنهم مشعوذون، ولكن

الأستاذ: ولكن ماذا؟

التلميذ: لقد أثلجت صدري يا سيدي بردودك المنطقية عليهم، ولكن قبل أن تكون كتلة واحدة ماذا كانت؟

.الأستاذ: كانت سديم

التلميذ: سديم؟ ما معنى سديم يا سيدي؟

الأستاذ: غازات، دخان سمها ما شئت، كانت سديم ثم تحولت بعد ذلك بفعل الأيام والليالي إلى مركبات، ثمّ تفجرت فصارت شمساً وقمراً وأرضاً

مرت أيام والتلميذ مقتنع بما قاله أستاذه، بأن الكون ليس له بداية، ولكن قفزت إلى ذهنه فكرة المدفأة ونفاذها يوماً ما من الوقود، فقال في نفسه

لا بد للشمس من أن يأتي عليها زمان ينتهي فيه وقودها، وسيأتي على الأرض زمان تتفتت فيه جبالها وصخورها، وبالنتيجة فلا بد أن لهذا الكون من نهاية، وهذه نتيجة منطقية، وهي تتمشى مع ما قاله الشيخ، وما يقوله الإسلام من أنه سيأتي يوم عظيم، يحدث فيه مثل هذا، وأكثر، وهو اليوم الآخر:

ماذا يفعل أيرجع إلى الشيخ؟ كيف وقد حلف بشرفه، وأمسك على شاربه، وأقسم ألا يعود إليه؟

ولكن هل شرفه أغلى من عقله، وأغلى من الله إن ثبت له أنه موجود، وهو خالقه وخالق كل شيء؟ كما أن أستاذه كان يقول له دائما احترم عقلك، وكن حراً في تفكيرك، فلماذا يحجر عليّ الآن ويمنعني من الذهاب إلى الشيخ؟ لا بد من الذهاب؛ والتعرف على الحقيقة.

الجولة الرابعة:

ذهب التلميذ الشيوعي إلى الشيخ وقال له: أتيتنا بأدلة كثيرة على أن الكون له بداية، فما الذي قبل البداية؟

.الشيخ: هل عندك إجابة؟ قل ما تريد

التلميذ: ما قبل البداية: أن الأرض والجبال، والشمس والقمر جميعها كانت كتلة واحدة، ثم تفجرت.

الشيخ: وماذا كانت قبل الكتلة الواحدة؟

التلميذ: كانت سديماً.

الشيخ: وما معنى سديم؟

التلميذ: معناها غازات، دخان سمّها ما شئت.

الشيخ: صدق الله العظيم.

التلميذ: ماذا تقصد؟

الشيخ: منذ متى اكتشفتم أن السماوات والأرض كانتا دخاناً أو سديماً؟

التلميذ: في القرن العشرين، الذي لم يبق ولم يذر.

الشيخ: لقد أخبرنا الله بذلك في كتابه العزيز قبل أربعة عشر قرناً.

التلميذ متعجباً: وكيف ذلك؟

الشيخ: يقول تعالى

(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)

التلميذ: أين أجد هذه الآية؟

الشيخ: إنها في القرآن الكريم، الآية(11) من سورة فصلت،فمن الذي أخبر محمداً بذلك قبل ما يزيد على ألف وأربعمائة عام؟

التلميذ: لا أدري، ولا أفهم شيئاً مما تقول، ولكن دعنا نعود إلى المنطق

الشيخ: ما دمت تريد المنطق فسأوجه لك السؤال التالي: إذا كان أصل الكون كتلة واحدة، ثم تفجرت، فهل يعني ذلك النظام المبدع أم الدمار المفزع؟

التلميذ: لا أدري، ما رأيك أنت؟

الشيخ: يا بني: إن قلنا إن هذا الكون وجد من العدم، فلا بد أن نعرف من الذي أوجده فنعود إلى الأسئلة الثلاثة السابقة:هل وجد من لاشيء، أم أوجد نفسه بنفسه، أم أوجده موجد؟ وقد ناقشنا ذلك سابقاً وانتهينا إلى الاحتمال الأخير.

وإن قلنا: إن هذا الكون كان كتلة واحدة فتفجر، وتنظم بهذا الشكل البديع ، فمن الذي نظمه؟ هل نظم من لاشيء، أم نظم نفسه بنفسه، أم أن شيئاً نظمه؟

فإذا كنت تدعي المنطقية، فلا بد لك من الإيمان، الابتعاد عن

الإلحاد، واذهب إلى من شئت، واسأل من تحب، ولكن بشرط أن تقتنع بما تسمع، وتكون منطقياً مع نفسك، ومع من تحاور.

رجع التلميذ الملحد لأستاذه قائلاً: كيف تفجر الكون ثم تنظم يا أستاذ؟

الأستاذ: هل رجعت إلى الشيخ؟

التلميذ: كلا.

الأستاذ: أنت تكذب، لا بد أنك رجعت.

التلميذ: افرض أنني رجعت، أما كنت تقول لي في بداية الطريق تقول: احترم رأيك، ولا تقيد نفسك بما يقوله الآخرون؟ فما المانع من ذهابي؟

الأستاذ: نعم، لا مانع من ذهابك أبداً، ولكن...

التلميذ: ولكن ماذا يا أستاذ؟

الأستاذ: إن الأمر بسيط جداً، وجواب سؤالك: أن الأمر حدث صدفة.

التلميذ: كل هذا حدث صدفة؟

الأستاذ: نعم، ألم تحدث معك أشياء كثيرة صدفة في حياتك؟

التلميذ: نعم، أشياء كثيرة حدثت معي صدفة.

الأستاذ: وهذا الكون تفجر، ثم تنظم صدفة.

.رجع التلميذ إلى الشيخ فرحاً بهذا الجواب، ليبدأ معه جولة جديدة من النقاش المنطقي

الجولة الخامسة:

التلميذ: لقد وجدت الجواب: إن الكون تفجر، وبعد ذلك تنظم صدفة

الشيخ: نعم ربما يكون هذا صحيحاً، فقد حصل معي صدف كثيرة، هل تريد أن أحدثك ببعضها ؟

.التلميذ: نعم، أرجوك فهذا يؤكد جوابي

الشيخ: في أحد الأيام دخل إلى المسجد رجل أعمى، ووقف عند الباب، وكان معه عشر إبر، فقذف إحداها باتجاه المنبر فدخلت به بشكل عامودي ، ثم رمى الثانية فدخلت في .ثقب الأولى

التلميذ: هذا عجيب، هل حصل هذا فعلاً؟

الشيخ:نعم نعم، والأعجب من هذا: أنه رمى الثالثة فدخلت في ثقب الثانية، ثم رمى . الرابعة، فدخلت في ثقب الثالثة

.التلميذ: هذا عجيب جداً

.الشيخ: دعني أكمل

.-التلميذ: أكمل الله يعين_طبعاً ذكرَ اسم الله دون قصد.

الشيخ:لقد رمى الخامسة فدخلت في ثقب الرابعة، وهكذا حتى دخلت العاشرة في ثقب .التاسعة، ولم يخطئ في واحدة منها.

.التلميذ: مستحيل، مستحيل، مستحيل...لا أصدق هذا أبداً

.الشيخ:لا بأس دعني أحدثك عن صدفة أخرى حدثت معي

.التلميذ: تفضل

الشيخ: كنت أجلس ذات مرة على الطاولة، وأمامي جميع الاستعدادات لكي أرسم لوحة لولدي فيها صورة طاووس، كما طلب منه معلم الرسم، ثم فتحت علبة الألوان المليئة بجميع الألوان.

.الأحمر، والأخضر،والأصفر، والأزرق

.التلميذ: نعم يا شيخ فأنا أعرف أن الطاووس يحتاج إلى عدة ألوان

الشيخ: وعندما بدأت بالرسم، وإذا بجرس الباب يقرع بشدة، فقمت مسرعاً، فاهتزت الطاولة بقوة نتيجة ارتطامي بها فانسكبت المحابر على بعضها واختلطت الألوان .وسالت على سطح الطاولة

التلميذ: ثم ماذا حدث بعد ذلك؟

الشيخ: بعد أن انصرف الضيف، دخلت الغرفة كي أتلاشى ما حدث

من فوضى على طاولة الرسم، فرأيت العجب

!التلميذ: وماذا رأيت ؟

الشيخ: رأيت الألوان قد اختلطت ببعضها، وبالصدفة شكلت هذه الألوان صورة طاووس جميلة، في غاية الروعة، ومتناهية الدقة.

التلميذ: لوحدها دون تدخل أحد؟

الشيخ:نعم، نعم فلم يكن في البيت وقتها غيري، وقد أعجبت كثيراً بجمال الطاووس، فكأن اللوحة حقيقية.

التلميذ: لا بد أنك تهذي، وتقول كلاماً لا يصدق.

الشيخ: يبدو أنك لا تصدق ما أقول، ولكن سأحدثك بصدفة أخرى.

التلميذ: وما هي؟ أرجو أن لا تكون كسابقتيها.

الشيخ: بينما كانت إحدى الطائرات تطير في الجو محملة بأحرف مختلفة لمطبعة كبيرة، أصيبت الطائرة بخلل فني يستدعي تخفيف الحمولة، فألقت كمية كبيرة من الأحرف بقصد تخفيف الوزن.

التلميذ: وهل نجت الطائرة بعد ذلك؟

الشيخ: نعم، والحمد لله، ولكن العجيب أنهم حينما جاءت فرق الإنقاذ لجمع الحروف التي ألقتها الطائرة، وجدوها قد تجمعت وانتظمت وشكلت قصيدة البردة للإمام البوصيري، المؤلفة مما يزيد عن مائة وأربعين بيتاً بالوزن والقافية، ومطلعها يقول

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلتي بدم

فهب الشاب واقفاً، ولم يتمالك أعصابه فقال: اسمح لي أيها الشيخ: إنك تكذب، ومحترف بالكذب أيضاً

فأمسك به الشيخ، وأجلسه قائلاً: إذا كانت هذه الصدف مستحيلة، ولم تقتنع بها، فقد ناقضت نفسك.

التلميذ: وكيف ذلك؟

الشيخ:إذا كنت لا تصدق أن الأعمى يستطيع أن يدخل الإبرة في ثقب الأخرى، فكيف تسير ملايين النجوم دون أن تصطدم ببعضها صدفة،

وإذا كنت لا تصدق بأن الحبر المنسكب على الطاولة يشكل طاووساً، فكيف تصدق أن الطاووس بلحمه ودمه وريشه وحياته وجد صدفة؟

وإذا كنت لا تصدق أن الحروف المتناثر شكلت قصيدة موزونة، فكيف تصدق أن هذا الكون بنظامه المعقد، والدقيق بشمسه وقمره وأرضه وجباله وبحاره وأنهاره، كل هذا حدث صدفة؟

التلميذ: صدقت يا سيدي الشيخ، مستحيل أن يكون هذا الكون بتنظيمه الدقيق قد وجد صدفة، وتنظم صدفة.

الشيخ: إن هذا الكون بتنظيمه الدقيق يدل على عظمة الخالق وإتقانه، وسأفسر لك بعض الآيات القرآنية الكريمة التي تدل على عظمة الخالق، فيما بعد، ولكن دعني أذكرك بتجربة الاحتمال والخطأ.

فلو وضعت في كيس كرتين مرقمتين 1و2، ثم مددت يدك لتخرج

إحداها فإن احتمالية خروج الرقم(1) قبل الرقم(2) هي 1-2، أي بنسبة50%، فإذا أضفت كرة ثالثة إلى الكيس تحمل الرقم(3) فإن احتمالية خروج الأرقام مرتبة 1،2،3 تقل بنسبة كبيرة تصل إلى 1-6 أي أقل من16%، فإذا وضعت عشرة كرات، فإن احتمالية خروج الأرقام العشرة مرتبة،فإن النسبة قد تصل إلى أقل من 000001%، فكيف إذا زاد عدد الكرات أكثر من ذلك؟

كما أن مفتاح السيارة، أومفتاح القاصة الحديدية مصمم بنتوءات خاصة تكفل عدم فتحها إلا مفتاح واحد من كل عشرة ملايين مفتاح.

فما دور الصدفة في أن يحصل شخص على مفتاح يفتح أكثر من سيارة أو قاصة نقود؟

ولكن انظر إلى مليارات البشر الذين لا تتشابه بصمة واحد منهم مع الآخر، فهل هذا صدفة أم أنه إبداع الخالق العظيم

(بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ)القيامة:4

والبنان هو نهاية الإصبع الذي نبه القرآن على أنه في نهاية الدقة من قبل 14 قرنا

الجولة السادسة:

بعد التسليم بأن الكون له بداية، ولا بد له من خالق عظيم، وهو الله، يبدأ بعض المشكّكين، والمتشكّكين يثيرون السؤال التالي:

الله خلق الكون، فمن خلق الله؟

وهذا السؤال رد فعل لقولنا: كل فعل لا بد له من فاعل، وكل حادث لا بد له من محدِث، وهذه القاعدة صحيحة، ولكنها ليست مضطردة ولا تنسحب على كل شيء، فلكل قاعدة استثناءات، ولتوضيح ذلك نقول:

من المعروف عند الجميع بأن الماء يغلي عندما تصل درجة حرارته إلى 100درجة مئوية، ولكن على رؤوس الجبال العالية، وفي الأغوار فالقاعدة ليست كذلك، فلكل قاعدة شواذ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى فإن القاعدة لا تنطبق على الخالق العظيم، فالله سبحانه وتعالى ليس حادثاً حتى يحتاج إلى محدِث، وليس فعلاً ليحتاج إلى فاعل، وليس مخلوقاً حتى يحتاج إلى خالق.

وتمشياً مع صديقنا المنطقي سنناقش هذا الموضوع من خلال أربعة

قوانين منطقية،كل واحد منها يكفي لأن يعرفنا بأن الله لا يحتاج إلى خالق

أولاً: لنسأل أنفسنا هل الله – سبحانه وتعالى- كامل أم ناقص؟

فإن قيل: إنه ناقص، فهو ليس إلهاً، وإن قيل: إنه كامل، فالكامل لا يحتاج إلى من يكمله، أو يخلقه، لأنه كامل.

ثانياً: لقد قلنا فيما مضى: " إن الذي ليس له بداية، فإنه لا يحتاج إلى خالق" وقد ثبت لنا بالبراهين المنطقية أن الكون له بداية، أما الله تعالى فليس له بداية، ولا نهاية، فهو لا يحتاج إلى خالق.

ثالثاً: لو أن الخالق احتاج إلى خالق، والخالق الثاني احتاج إلى خالق ثالث، والثالث إلى رابع، وهكذا، ولا بد من الوصول في نهاية الأمر إلى خالق خلق كل هذه الآلهة، وهو الخالق المقصود، والآلهة التي قبله افترضناها جدلاً لأجل العملية المنطقية، ولا وجود لها حقيقة، ولا حاجة لها أصلاً لأنها مخلوقة.

رابعاً: من أجل الوصول إلى الحقيقة لا بد من وضع الاحتمالات المنطقية، وهناك ثلاث احتمالات لا رابع لها،وهي:

1- أن يكون هذا الكون لا يحتاج إلى خالق، وهذا باطل كما أسلفنا .

2- أن هذا الكون يحتاج إلى إله، والإله يحتاج إلى إله، وهكذا، وهذا باطل أيضاً لأنه

يتعارض مع قانون بطلان الدور والتسلسل .

3-أن هذا الكون له خالق، وهذا الخالق كامل، ولا يحتاج إلى خالق لأنه كامل، وليس له بداية، وهذا الافتراض هو الصحيح، بقانون السبر والتقسيم.

ومع اعترافنا بأن هذا يصعب فهمه على بعض العقول، ذلك لأن البيت يسع الفنجان، ولكن الفنجان لا يسع البيت.

فلو أن رجلاً كان يقرأ في كتاب فوضعه على الطاولة، ثم خرج من المنزل، وعاد بعد قليل ليجد الكتاب قد وضع على أحد رفوف المكتبة، فلا بد أن يسأل، عن كيفية وصول الكتاب إلى المكان الجديد، ولكن لو جاءه ضيف فجلس على الكرسي المقابل له، ثم

ذهب ليحضر الشاي فوجد الضيف قد غير مكانه وجلس على كرسي آخر، فهل لهذا الإنسان أن يذهب إلى أهل بيته ويسألهم: من الذي جعل الضيف يغير مكانه؟

بالطبع لا؛ لأن الكتاب بحاجة إلى من يحركه، أما الضيف فهو قادر على الانتقال والحركة بنفسه.

ثم إن المرآة تعكس الذي أمامها ولا تستطيع أن تعكس ما خلفها،

فلو سألنا إنساناً: لماذا لا تستطيع أن تخلق شيئاً من العدم؟ وإذا لم تستطع فلماذا تقبل ذلك على نفسك؟ فيقول بلا تردد لا أستطيع، ولا أجد حرجاً في ذلك، لأنه فوق طاقتي

وكذلك يجب أن نستوعب أن الخالق لا يمكن أن يكون مخلوقاً، مثلما أن المخلوق لا يستطيع أن يكون خالقاً.

إن في الكون أشياء كثيرة لا يستطيع عقل الإنسان أن يدركها ، كقولنا:

ما هي حدود الكون عن اليمين، وعن الشمال؟ وما هو آخر عدد استطاع الإنسان أن يكتبه؟ وأين يذهب الليل إذا جاء النهار ؟

لذا يجب أن ندرك أن العقل-على قوته-هو ضيق ومحدود أمام اللامحدود، وكل هذا النقاش الطويل،لا لكي يدخل الإيمان إلى قلوبنا، ولكن لكي نرد على الملحدين منطقاً بمنطق، وحجة بحجة

(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ)الانبياء18

أن تطهير الأرض من مما يلحقها من الخراب يتم بواسطة الجرّافة، أما بناؤها فيحتاج إلى شيء آخر .

وإن إزالة الرائحة الكريهة عن الجسم يتم بالماء، أما أن تصبح رائحته فوّاحة بالعطر فيحتاج إلى شيء آخر .

وهكذا فإن مجادلة الملحد تتم بالمنطق، أما إدخال الإيمان إلى القلوب فيحتاج إلى التفكّر في هذا الكون وآياته، وما فيه من عجائب حتى يتيقن الإنسان من داخله وبكل وضوح بأن هذا الكون لا بد له من خالق عظيم.

الجولة السابعة:

جاء التلميذ ووقف إلى جانب الشيخ يصلي، وبعد انتهاء الصلاة صافحه المصلون وباركوا للمصلي الجديد بالإيمان والالتزام بالصلاة ، إذ أن هذا الشاب لم يكن ممن يجادل إشباعاً للترف الفكري- كما هو حال بعضهم- فقال الشيخ: أيها الأخوة: لا زلنا مقصرين.

فقال المصلي الجديد: وبماذا يا سيدي؟

الشيخ: لأننا لم نذهب إلى الأستاذ الذي علمك الإلحاد، إذ أن كل إنسان في قلبه بذرة خير، إذا راعيناها نمت وكبرت وآتت ثمارها

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)

إبراهيم(24)

فقام أربعة من الحاضرين ورافقوا الشيخ إلى بيت الأستاذ، واتفقوا على أن يتكلم واحد منهم ويستمع الآخرون كي لا تتحول الجلسة إلى مشاجرة، بدلاً من أن تكون جلسة تفاهم ومجادلة بالتي هي أحسن.

وعندما تداولوا الحديث ووصلوا إلى الاستنتاجات السابقة،

فقال الأستاذ: لا أظن أن هذه الأشياء قد حصلت إلا بفعل الطبيعة، وكل الأشياء حدثت بفعل الطبيعة لا غير.

الشيخ: لقد فاتني أن أسألك يا حضرة الأستاذ المحترم عن المادة التي تُدرّسها؟

.الأستاذ: أُدرّس اللغة العربية، وهذا مجال اختصاصي

الشيخ:ما رأيك بالعبارة التي تكتب في أول كل مدينة أو قرية، وهي " مدينة كذا، أو بلدة كذا ترحب بكم" ؟

الأستاذ: كلمة طيبة ولا غبار عليها

الشيخ: وما رأيك بالعبارة الأخرى التي تكتب في نهاية حدود البلدة" بلدة كذا تستودعكم السلامة" ؟

.الأستاذ: إنها عبارة بلهاء تندرت بها أمام تلاميذي

الشيخ: ولماذا هي كذلك؟

.الأستاذ: لأن السلامة شيء لا يستودع، وهي ليست فاعلاً، بل هي صفة وصولك

الشيخ: أنا أوافقك على أنها عبارة بلهاء، ولكن يا أستاذ :

كلمة الطبيعة أليست على وزن فعيلة ؟ بمعنى أنها مطبوعة ؟ وهي بذلك تحتاج إلى فاعل؟

الأستاذ: وقد بدا منبهراً لثقافة الشيخ:لا، لا يا فضيلة الشيخ

هذه كلمة مترجمة، لكن معناها الأساسي أنها طبيعة فاعلة،حكيمة، عالمة، عاقلة مدبرة، .منظمة، تتصف بكل معاني الإجلال والروعة

الشيخ: هذا الكون مليء بالأشياء، ولكل شيء خصائص قد تتشابه في بعض الجزئيات مع شيء آخر، و تختلف عنه في باقي الأشياء، وقد يكون لبعض الأشياء خصائص .ينفرد بها عن باقي الأشياء جميعها

. فالجماد: له حيز

.والنبات: له حيِّز ، وينمو ويتحرك

.والحيوان: له حيِّز ، وينمو ويتحرك بالإرادة

.والإنسان: له حيِّز ، وينمو ويتحرك بالإرادة، ويعقل

فهل الطبيعة، يعني الجبال والسهول والتراب والأشجار هي التي أوجدتنا على هذا التركيب والنظام؟ أم أنها أمر خارج عن هذه الموجودات؟

الأستاذ، وقد بدا متحيراً أمام هذا الترتيب: لا لا، لا يمكن أن تكون الجبال التي نشقها، والمياه التي نحولها ونسوقها، والدواب التي نركبها، والأشجار التي نقطعها هي تلك .التي نعني، وإنما الطبيعة أمر خارج عن هذا كله

الشيخ: وما صفات هذه الطبيعة؟

الأستاذ: أولاً: إنها عالمة، والدليل على ذلك أن الرضيع يحتاج إلى الحليب فكان لأمّه ثدي، ولو لم تكن الطبيعة عالمة لما حصل ذلك.

ثانياً: إنها حكيمة، فبعد فترة من الرضاعة ينقطع الحليب، لأن الرضيع يصبح قادراً على الأكل بأسنانه، بينما أمّه تستعد للحمل التالي .

.ثالثاً: الطبيعة رحيمة، لأنها علّمت الأم أن تعطف على وليدها

رابعاً: الطبيعة مدبرة لأنها هي التي قدرت ذلك واختارته.

الشيخ قال وهو يهز رأسه إعجاباً: نعم لقد اتفقنا.

الأستاذ: وكيف اتفقنا؟

الشيخ: هذه الصفات التي تفضلت بها يا أستاذ، كل الناس من آدم وحتى يومنا هذا (GAD) يؤمنون بها، ولكنهم اختلفوا في تسميتها، فبعضهم سماه" ، وبعضهم سماه " ياهو" ونحن نسميه" الله " وأنت سميته اليوم: الطبيعة .خداي" ،

الأستاذ: لا لا، الله ذلك المعنى الكهنوتي الذي شعاره الإيمان بالخرافات، وسمته حرق العلماء بالنار؛ لأنهم قالوا: إن الأرض كروية، وكان يساعد الإقطاعيين والملوك في أوروبا على استعباد الشعوب، ونهب خيراتهم، حيث كان أولاد الكادحين والفلاحين يموتون جوعاً، بينما كلاب الإقطاعيين تعاف اللحم، فهل هذا عدل أيها الشيخ؟

الشيخ: لا، ولكن الله لا يرضى هذا ولا يأمر به، وليس هذا من الدين في شيء، الله هو الرحمن الرحيم، وهو أرحم من العبد بنفسه.

الأستاذ: ما دام كذلك، فلماذا كان يحدث كل هذا وأكثر منه، حتى قالت الشيوعية عندما قامت: "اشنقوا الإقطاعي بأمعاء القسيس" لشدة الغيظ على رجال الدين الذين كانوا يستخدمون الدين والحرمان من الجنة، والطرد من الكنيسة، لإسكات الشعوب المقهورة أمام الطغيان، حتى قام القس مارتن لوثر ليفضح مزاعمهم، ويثور على الكنيسة، إذ عندما رأى الكهنة يبيعون الجنة، قال لهم: أنا أريد أن أشتري النار، وأخذ منهم صكاً بذلك، وعندما خرج نادى بالناس: ابشروا فإني قد ملكت النار جميعها، ولن أسمح لأحد بدخولها، ولن تعذبوا فيها.

الشيخ: وماذا عن الإسلام؟

الأستاذ: إنه كبقية الديانات، ولا أظن أنه يختلف عنها، فالديانات كلها واحد.

الشيخ: ولكن الإسلام ليس كبقية الديانات.

وأول كلمة نزلت على محمدهي كلمة:" اقرأ" ، فهل في غيره مثل ذلك؟ كما أن أول كلمة ينطق بها المسلم هي كلمة:"لا" في قوله لا إله إلا الله ، وهذا ينافي الخضوع والخنوع، والذل والقهر الذي تتحدث عنه، وبلال الذي كان عبداً يسعى لخدمة سيده ليل نهار، ولا يعرف غير ذلك، وعندما دخل الإسلام قلبه صار يقول: أحد أحد، رافضاً كل ذلك، وأصبح يقارعهم الحجة بالحجة.

الأستاذ: وشعار أطفئ سراج عقلك واتبعني: في أي سورة أيها الشيخ؟

الشيخ: ولا في أي سورة في القرآن.

ولا يوجد في ديننا مثل ، كما انه ليس في أي من أحاديث النبي- صلى الله عليه وسلم- هذا الكلام أبدا.

الأستاذ: هذا غير معقول.

الشيخ: لقد بدأت أغضب منك أيها الأستاذ.

الأستاذ: ولماذا أيها الشيخ؟

الشيخ: لأنك تأتي بنصوص من ديانات أخرى، فتضعها في الإسلام، وتلصقها به ظلماً. كما أنك قليل الإطلاع على دين الإسلام الذي هو دين الحق والعلم، ودين العدل والرحمة، رغم أنك كنت من أبناءه.وكذلك لأنك تصدق العدو على عدوه فهل يصح هذا منك؟

الأستاذ: لا، لا أصدق العدو على عدوه، ولكن الشيوعيون كانوا يعلموننا بكل صدق وصراحة.

الشيخ: أنا أتحداك أن تأتي بالكلمة التي قلتها من أي من المصادر الإسلامية، وأمهلك عشرة أيام، مع أنك تستطيع إخراج أي آية من القرآن الكريم بأقل من دقيقتين بفضل وجود المعاجم التي تدلك على مواضع كل آية، ومعاجم الحديث أيضاً موجودة وتستطيع تخريج أي حديث خلال دقائق،بل تستطيع بواسطة الحاسوب أن تفعل ذلك خلال ثواني؛ إذ أن القرآن الكريم، وجميع كتب الحديث موجودة الآن على أقراص ليزر.

! الأستاذ: القرآن والحديث في الحاسوب؟!أو ليس هذا محرماً عندكم، وبدعة؟

الشيخ: لا، فالتلفون، والتلفزيون، والراديو، والحاسوب، والسيارة، والطائرة، جميعها وسائل؛ فإن استعملت للخير فهي خير، وإن استعملت للشر فهي شر.

الأستاذ: كيف تقول هذا، وتصدر مثل هذا الحكم، وكل هذه الأشياء لم تكن موجودة في الماضي، فهي بدعة وكل بدعة ضلالة كما تقولون.

الشيخ: الأمر ليس كذلك، فالماء موجود منذ القدم، ولكنك تستطيع أن تنقذ به حياة إنسان يكون بأمس الحاجة إليه فيكون خيراً، وتستطيع أيضاً أن تغرق به طفلاً فيكون شراً، فهل الماء وجد بعد قيام الشيوعية أم قبلها؟

الأستاذ: قبلها طبعاً، ولكن أنا أعرف أن الإسلام لا يعترف بكل شيء لم يكن موجوداً في عصر النبي.

الشيخ:

ولكن الدين لا يتعارض مع العلم الثابت،الموجه نحو الخير، وهناك أحكاماً يصدرها العلماء عن طريق القياس، أو الاجتهاد،

وأما المقصود بالبدعة المحرمة التي نهى عنها الإسلام وحذر منها، هي البدعة في أمور الدين، لأن الدين كَمُلَ واستقر فيه كل شيء، فلا مجال لأن يأتينا أحد بأمور تعبدية جديدة، أو يأتينا بتعديل على بعضها،

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِينًا) المائدة 3.

،وسأبعث لك بكتاب نافع ومفيد من الكتب التي تزخر بها مكتباتنا الإسلامية الواسعة. اقرأ إن شئت كتابي خمس موبقات في علم الاقتصاد/فصل عدم أداء الزكاة هزت العالم مرتين في القرن العشرين: مرة بقيام الشيوعية ومرة بانهدامها.

الجولة الثامنة:

احتار الأستاذ في أمره، وذهب إلى السفارة الروسية طالباً العون والمساعدة كالعادة،فقالوا له : سنزودك بسؤال واحد يجعل الشيخ يرفع الراية البيضاء مستسلماً، قل لهذا الشيخ:هل يستطيع الله أن يخرجني من ملكه؟

عاد الأستاذ مهرولاً إلى الشيخ وطرح عليه السؤال بفرح شديد.

فقال له الشيخ: وأنا سأساعدك بسؤال آخر، كيلا تبقى تروح وتجيء إلى السفارة، وهم يمدونك بالكفر على أقساط، والسؤال هو : هل يستطيع ربك أن يخلق صخرة لا يستطيع أن يحملها؟ والنتيجة أنه إذا كان يقدر فهذا مستحيل، وإن كان لا يقدر، فكيف تقولون: إنه على كل شيء قدير؟

.لأستاذ: وهل عندك جواب على هذه الأسئلة؟

الشيخ: نعم، بالتأكيد،فإن القدرة تتعلق بالجائز عقلاً، لا بالمستحيل عقلاً، فالصعب شيء،والمستحيل عادة شيء آخر، والمستحيل عقلاً شيء ثالث غيرهما.

فالصعب:كإقناع الشيوعي بالإسلام، وهذا سيحصل بالمثابرة إن شاء الله.أما المستحيل عادة: فهو كعدم احتراق سيدنا إبراهيم عليه السلام بالنار وهذا يحتاج إلى معجزة لحدوثه.

وأما المستحيل عقلاً: فهو كأن نقول: إن الجزء أكبر من الكل، أو وجود إنسان في مكانين في آن واحد،.وهذا لا يمكن أن يوجد لأنه مستحيل عقلاً.

!الأستاذ: ها، قل لي: كيف لم يحترق إبراهيم بالنار؟

الشيخ: النار يا عزيزي لا تحرق كل شيء في كل الأوقات؛ فالنار البسيطة تحرق الورق، والتي أقوى منها تحرق الخشب، فإذا حميت تصهر الحديد، وتذيب النحاس، ولكنها مهما حميت فلن تستطيع أن تحرق الجرانيت، وهناك مواد تستطيع أن تقاوم القنبلة الذرية إذا انفجرت داخل الفرن الحراري.

والخالق العليم حين قدر لابن آدم أن يفجر القنبلة الذرية، خلق له مواداً يحمي بها نفسه منها(وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ*عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَال)

الرعد0(9-8)

الأستاذ: وهل إبراهيم مخلوق من الجرانيت، فلم تحرقه النار؟

الشيخ: لا، ليس هذا هو المقصود، ولكن المقصود: أن كل الأشياء التي يدركها العقل، كالإنسان، والحياة، والكون، هي أشياء محدودة، وعاجزة وناقصة، ومحكومة بقانون، وهي بذلك محتاجة إلى غيرها:

الإنسان محدود لأنه ينمو إلى حد ما، ثم لا يتجاوز ذلك، فهو محدود

والكون محدود؛ لأنه مجموعة من الأجرام، وكل جرم منها محدود، ومجموع المحدودات محدود، فالكون محدود، وهو بحاجة إلى خالق

قصة: جلس رجل كان يعبد الله على دين صحيح متفكراً، وكانت تشوش تفكيره فأرة، فأراد أن يدعو عليها، ولكنه قال: لا، دعني أدعو لها أن تكون أعظم مخلوق، ولكن ما هو أعظم مخلوق؟

ألعلها الشمس؟ أجابته الشمس بلسان الحال

لا، لأن الغيمة تمنع أشعتي من الوصول إلى الأرض حين تمر من تحتي، فقال: إذاً فالغيمة هي أعظم مخلوق؟ قالت الغيمة

لا، لأن الريح تحملني حيث شاءت، قال: إذاً فالريح؟ قالت الريح: كلا، لأنني حين أكون هائجة مسرعة فيصدمني بالجبل، ويكسر كبريائي، قال: إذاً فالجبل؟ قال الجبل

لا، فالفأرة تخرقني فلا أستطيع لها دفعاً، ولا منعاً .

فالكون يا أستاذ هو مجموعة من الأشياء محكومة بقوانين.

الأستاذ: هذا كلام منطقي، ولكن لم تجبني كيف لم يحترق إبراهيم؟

الشيخ: هناك ما هو أعجب من هذا: وهو أن أحد الملائكة نصفه من ثلج، والنصف الآخر من نار...قاطعه الأستاذ: مستحيل! مستحيل! كدت أن أصدق كلامك، وأؤمن بالله، ولكنني الآن تراجعت.

الشيخ: اصمت يا أستاذ حتى أكمل كلامي ... هذا المَلَك يقول: اللهم يا من ألفت بين الثلج والنار، ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين.

الأستاذ: هذا مستحيل... ولا يمكن أن يكون.

الشيخ: هل رأيت الثلاجة يا أستاذ؟

الأستاذ: نعم، إنها نعمة القرن العشرين، قرن الاختراعات.

الشيخ: وقرن الإيمان أيضاً لمن يريد أن يؤمن، لكن كيف تكون حرارتها؟

الأستاذ: منخفضة جداً لدرجة التجمد.

الشيخ: لا، إن حرارتها منخفضة بالداخل، ولكنها من الخارج ساخنة، والذي فصل بين الساخن والبارد(فالة) سلك نحاس مثقوب من الداخل.

الأستاذ: نعم، نعم هذا صحيح.

الشيخ: هذا اختراع البشر، فكيف بقدرة خالق البشر؟

... الأستاذ: كلامك المنطقي هذا والله حيرني، ولكن

الشيخ: كما تعلم فإن الثلاجة تعمل على الكهرباء، والكهرباء لها قدرات متعددة، فإذا وصلتها بالمدفأة أعطتك حرارة، وإذا وصلتها بالمروحة أعطتك برودة، وإذا وصلتها بالمصباح أعطاك نوراً، وإذا وصلتها بالراديو نطق، وإذا وصلتها بالتلفاز تحركت الصورة. ...

وهكذا، مع أن الكهرباء مصدرها مولد، والمولد يعمل على البترول، والبترول هو نار ، كما أن محرك السيارة نار أيضاً، فالنار لها أكثر من استعمال وأكثر من مجال.

الأستاذ: نعم، نعم كلامك صحيح يا شيخ.

الشيخ: سأضرب لك مثالاً: جاء رجل من القرية ليزور ابنه في المدينة وكانت هذه أول مرة في حياته يدخل إلى المدينة، وعندما وصل لبيت ابنه أراد أن يربط دابته، فوجد سلك كهرباء مهمل، فأراد أن يربط دابته به، وعندما أمسك بالسلك ضربته الكهرباء، وكاد أن يموت وحينما أفاق في المستشفى، قال لمن حوله: ما هذا السلك الذي فعل بي ما فعل؟ فقالوا له: إنه سلك كهرباء.

وبعد أن عاد إلى بلده وجد أن أهل البلد يطالبون الحكومة بإيصال التيار الكهربائي إلى البلدة. فقل لي يا أستاذ: ماذا سيكون موقف هذا الرجل، وكم ستكون معارضته شديدة لهذا المشروع؟

الأستاذ: لاشك أنه سيكون شديد المعارضة، وإذا غلب على أمره فإنه سيرحل عن البلدة، ويتهمهم بالجنون.

الشيخ: لماذا يا أستاذ؟

.الأستاذ:لأنه لم يعرف من الكهرباء سوى أنها تؤذي كل من يقترب منها

الشيخ: وكذلك النار، فإننا لم نعرف عنها سوى أنها تؤذي، ولكن لو أراد الله لها أن تكون برداً وسلاماً لكانت كذلك، لأنه هو خالقها، وهو أقدر على النار من ابن آدم على الكهرباء، ولذلك قال العلماء: لو لم يقل الله: برداً وسلاماً، لقتله بردها.

الأستاذ: هذا كلام جميل ومنطقي، ومعلوماتك يا سيدي الشيخ كثيرة ومقنعة، فدعني استوعبها وأتفكر فيها، وغداً سيكون لنا لقاء آخر.

الشيخ: إن شاء الله تعالى.

الجولة التاسعة:

الأستاذ: والآن قل لي أيها الشيخ الفاضل: ما هو الفرق بين المستحيل عادة، والمستحيل عقلاً؟

الشيخ: المستحيل عادة: يمكن للعقل أن يتصوره، كأن أقول: اللهم اجعلني أستطيع أن أحمل سيارة كبيرة بيدي، فإما أن يقوي الله يديك، وإما أن يخفف السيارة، وإن كان هذا الشيء مستحيلاً عادة، ولكن يمكن للعقل تصوره، فلو ذهبنا في رحلة إلى القمر، فعندما نصل إلى نقطة انعدام الجاذبية فإنك تستطيع أن ترفع عشر شاحنات بقوتك العادية.

أما المستحيل عقلاً: فهو مستحيل عادة ومع ذلك لا يستطيع العقل تصوره، ولذلك لا يسمى العاجز عنه عاجزاً، وإنما يسمى طالبه أو معتقده مجنوناً.

وعوداً على بدء: أقول لك هذه الحادثة التي حدثت معي: فذات مرة كان معي ولدي الصغير فمرت طائرة في الجو من فوقنا، فقال لي ولدي: يا أبي إن كنت تحبني فتناول !هذه الطائرة من الجو وأعطني إياها

طبعاً لم أفعل ذلك، ولم يكن بمقدوري أن أفعل، ولكن لماذا؟ هل لأنني لا أحب ولدي؟ أم لأن ولدي عقله صغير وتصور أنني أستطيع ذلك؟

الأستاذ: طبعاً لأن الولد طلبه غير منطقي، ولاشك أن عقله صغير أيضاً.

الشيخ: وكذلك حينما تقول هل يستطيع الله سبحانه وتعالى أن يخرجني من ملكه، أو أن يخلق صخرة لا يستطيع هو أن يحملها، فهذا مستحيل عقلاً.

ولو أن رجلاً وقف قبالة الكعبة المشرفة في ليلة القدر وقال

اللهم اجعل يدي أكبر مني مع يدي، فإن الله لا يستجيب له، لا لأنه غير قادر على ذلك، ولكن لأن الرجل في عقله شيء،

ولو أن آخراً قال: :كان أمامي صندوق كله أسود، وكله أبيض من كل جوانبه في آن واحد، لقلنا له فوراً: إنك كاذب، لاستحالة الجمع بين النقيضين، لأن النقيضان لا يجتمعان.

وعليه أيها الأستاذ: لا يمكن للمستحيل أن يوجد، كما أن واجب الوجود لا يمكن عقلاً أن يذهب ويفقد، كمن قال: عندي صندوق خشب لا لون له، فسنقول له فوراً: إنك كاذب، وهذا كيلا تذهب إلى السفارة فيقولون لك: إن الله قد انتحر، لأن واجب الوجود لا يمكن أن يصبح جائز الوجود أو مستحيل الوجود، ثم قل لهم

إن أي إنسان ينتحر لا بد له من سبب ينتحر من أجله، وإلا لأقدم المجرمون على قتل الأبرياء، ثم يقولون: إنهم انتحروا، لذلك قل لي بربك: هل الله تضايق من شيء، أو أعجزه شيء ؟

حتى يقولون بمثل هذا الكلام، أم المقصود

(بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ* يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ).(5-6)القيامة

الأستاذ: كلامك واضح ومنطقي، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

الشيخ: يخر ساجداً شكراً لله، ثم يقول للمسلم الجديد: الآن أنت أستاذ بحق، فتدارك ما فاتك وكفر عما مضى.

الجولة العاشرة:

ذهب الأستاذ إلى السفارة ليناقشهم بإسلامه، فوجد صديقه الملحق الثقافي قد غادر إلى بلاده، وترك له رسالة قال فيها:

أيها المسلمون لقد ضحكنا عليكم، وخدعناكم ردحاً من الزمن، ووعدناكم بكتاب:" " الاشتراكية العلمية" بأن نجعل الجنة في الدنيا، بحيث يعمل الإنسان خمس ساعات باليوم فقط، وخمسة أيام في الأسبوع فقط، ولكننا لم نستطع أن نقف على أرجلنا بعد خمسة وسبعين سنة من الكذب والدجل، والحكم بالحديد والنار، وها هي الشيوعية تنهار

في بلدها، فإياكم أن تتركوا دينكم الخالد من أجل ترهات، وأباطيل، ودسائس شيطانية، وحذلقات كلامية كانت تمدكم بها شياطين الإنس والجن، وعسى أن تفيقوا وترجعوا إلى دينكم قبل أن تستكمل حلقات المؤامرة حولكم، فأنا لكم ناصح أمين.

فوجئ الأستاذ حين رأى صرح الشيوعية يهوي في بلاده ويهرب الناس من الحكم الشيوعي مشياً على الأقدام عندما انهار سور برلين، فازداد يوماً بعد يوم قناعة بإسلامه، ويقيناً بقرآنه، وحباً لنبيه عليه الصلاة والسلام.

المشاركة(1): قال أستاذ ملحد لتلاميذه في الصف السادس الابتدائي: هل ترون اللوح؟ قالوا: نعم، قال: إذاً فاللوح موجود، ثم قال لهم: هل ترون الباب؟ قالوا: نعم، قال: إذاً فالباب موجود، ثم قال لهم: هل ترون الله؟ قالوا: لا، قال:إذاً فالله غير موجود.

فوقف أحد الطلاب وقال: هل ترون عقل الأستاذ: قالوا: لا، قال: إذاً فعقل الأستاذ غير موجود، فضحك الطلاب، وبهت الأستاذ بهذا الجواب المفحم من طالب نجيب، وبنظرية الأستاذ نفسها

(فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)

البقرة (258).
شكراً، يا أخوتي هذا إيضاح للقاعدة المنطقية التي تقول: " عدم الوجدان لا يقتضي عدم الوجود"، ثم لو قال الملحد: أنا مستعد لأن أذهب إلى المستشفى ليفتحوا رأسي فترون دماغي بكل وضوح، ولكن أروني أنتم إلهكم؟ نقول له

يا محترم العقل غير المخ، فالحمار مثلاً له مخ كبير لكنه يبقى حماراً، والمجنون له دماغ، ولكنه يبقى مجنوناً .

ثم إن الإنسان بعد أن تجلس معه مدة من الزمن وتتحدث معه ستدرك أنه عاقل أم مجنون، دون أن تفتح رأسه أو أن ترى دماغه، وهذا الكون المنظم البديع يدلك على وجود الله تعالى، بل كلما تفكرت ودرست كلما زاد إيمانك، مما يدل على أن الملحد قليل الاطلاع ومعدوم الثقافة.

المشاركة (2): طرق الإيمان بالخالق ثلاثة

1-الاستدلال المنطقي، وقد اتضح لنا بجلاء.

2-الاستنتاج العقلي، وهو ربط مقدمتين للخروج بنتيجة وكما يلي:

أ- الكون مُنَظَّم.

ب- كل مُنَظَّم لا بد له من مُنَظِّم.

.إذاً: الكون لا بد له من مُنَظِّم

3-وقد يحدث هذا الاستنتاج بداهة، كراعٍ يرعى بغنمه في منطقة أثرية، فوضع الراعي رأسه بين كفيه واستند إلى عصاه وبدأ يفكر:

هذه الأرض كانت جرداء لا بناء عليها، ثم جاء قوم فبنوها وعمروها على هذا الشكل،وهذا البناء لا بد له من قوة، إذاً لا بد أنهم كانوا أقوياء، ثم إنه يحتاج هندسة، فلا بد أنه كان عندهم مهندسون، ومعماريون، كما أن البناء لا بد له من نظام واستقرار وأمن، فلا بد أن ذلك كان متوفراً لديهم، وها هي الآن خراب، والخراب لا بد له من .أسباب فالله أعلم ما الذنب الذي ارتكبوه حتى أزاحهم الله؟ وجعل ديارهم خراب

أشكرك على هذه المشاركة القيمة، إلا أن طرق الإيمان أكثر من ذلك، فالإنسان حينما يشرف على الهلاك، ويفقد الأمل بأسباب النجاة المادية، فإنه يتوجه إلى الله تعالى القادر على تهيئة أسباب النجاة

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ* أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

النمل62.

ولو سأل الإنسان نفسه لماذا كان العاق لوالديه شقيا معثرا كما أخبر الدين بذلك ، لعرف في قرارة نفسه ان الدين حق.

سؤال(1): أنا أرى أن الكفر بالله هو أمر غير منطقي، فما الذي حدا بالشيوعية أن تقول بما قالت؟

جواب(1):قيام الشيوعية تظافرت عليه عدة أسباب: فقد كان العالم الغربي يسوده نظام الإقطاع البشع، فلم تكن هنالك عدالة اجتماعية، ولا حقوق إنسان، وكانت زرائب

الدواب أفضل من الزرائب المعدة للبشر ، وكانت الأطفال تموت جوعاً، بينما كلاب الإقطاعيين تعاف اللحم، وكما قال الشاعر

تموت الأسد في الغابات جوعاً ولحم الضأن يطرح للكلاب

وعندما حاول بعض المصلحين أن يضع حداً لهذه المهازل والمآسي، تصدى لهم رجال الدين في الكنيسة، وهددوهم بالحرمان من الجنة، فاقترن في أذهان المصلحين، الظلم برجال الدين، بل بالدين نفسه، فما كان منهم إلا أن قالوا: ليس هناك إله إطلاقاً، وبذلك يكونوا قد هدموا الكنيسة من أساسها، على رؤوس رجال الدين.

وحينما قامت النهضة العلمية في أوروبا متأثرة بحضارة الإسلام وأسلوبهم في المنطق والعدالة، واحترام حقوق الإنسان، كان الذي يعارض هذه النهضة هم رجال الدين في الكنيسة، وأحرق العلماء لأنهم قالوا بكروية الأرض، فاقترن الدين بالجهل في أذهان الناس.

كما أن محاكم التفتيش في أوروبا كان يديرها رجال الدين، وكانت تقتل وتسفك الدماء باسم الدين أربعمائة عام ، قتل خلالها ما يزيد عن ثلاثمائة وخمسين رجلاًالف، منهم مائتي ألف حرقاً بالنار ، فاقترن اسم الدين بالظلم والاستبداد.

وفي ظل هذه الظروف لم يكن المسلمون قادرون على إيصال حقيقة الإسلام، وعدالته ورحمته إلى الناس، إذ بدأ الغرب بعد الحروب الصليبية يأخذ من عادات المسلمين وقيمهم، وطريقة تفكيرهم، وتعاملهم فبدءوا ينهضون ويتقدمون بسرعة، في حين أخذ المسلمون من عادات غيرهم، وتناسوا جوهر دينهم، فبدءوا يتخلفون عن ركب الحضارة التي هم أصحابها في الأصل ، حتى أصبحوا لا يستطيعون إقناع أبنائهم بأن الذي انطبق على الدين في الغرب لا ينطبق على الإسلام الحنيف.

ولكن والحمد لله بدأت أمتنا تستيقظ من سباتها، وبدأ شبابها المثقف يعرف طريق الحق ويسير عليه، كما أنهم بدءوا يدعون غيرهم إلى الدخول في هذا الدين الحنيف، وإقناعهم بأنه الدين الحق الذي تكفل الله بحفظه، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون)الحجر19

وصار الناس يقتنعون بأن خلاصهم في تطبيق شرع الله بينهم، وتمسكهم بدينهم، وبدأ نور الحق يسطع من جديد، وهذا تصديق لقوله تعالى(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي

أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد)فصلت53

وسيظهر الله دينه على كافة الأديان الأخرى، مثلما أظهره من قبل رغماً عن كل الحاقدين والملحدين (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)التوبة33.

وهذا ما أخبرنا به نبينا عليه الصلاة والسلام، عندما قال:" إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا ".مسلم/الفتن

أما عدالة الإسلام ، فهناك العديد من الكتب التي تناولت هذا الموضوع. (انظر: كتاب: شمس العرب تسطع على الغرب .

(و اقرأ إن شئت كتابي خمس موبقات في علم الاقتصاد)

المشاركة(3): في إحدى دول الإلحاد عقدت دورة كمبيوتر، استمع فيها المشتركون إلى ثمانية وأربعين محاضرة على مدار أسبوع، عن نشأة الكمبيوتر وتطوره ، وجهود العلماء الذين أسهموا في تطوره واحداً إثر واحد، وفي ختام المحاضرات فتح باب النقاش والأسئلة ، وكان من ضمن المشاركين أحد المسلمين فقال متسائلاً: هل نفهم من جميع ما سبق أن الكمبيوتر جاء صدفة؟

ارتفعت أصوات الحاضرين بالضحك بما فيهم الأستاذ الذي كاد أن ينفجر ضحكاً واستغراباً وغيظاً، ثم قال للسائل: كل هذه المحاضرات التي مرت، وهذا الشرح والتفصيل، ثم تقول: إن الكمبيوتر جاء صدفة؟ هل كنت نائماً؟

فرد عليه المسلم السائل: لا، لم أكن نائماً، وفهمت كل ما سبق، ولكنني أتساءل: كيف تستغربون من أن يوجد الكمبيوتر صدفة، وتصدقون بأن العقول التي اخترعت الكمبيوتر جاءت صدفة!!! وإن الكون بكل ما فيه جاء صدفة أيضاً؟!!.

وكان الأستاذ واقفاً فجلس ووضع رأسه بين كفيه،وفكر ملياً ثم قال للسائل : دعنا من هذا الآن، ولنعد إلى موضوعنا، فهل من سؤال آخر؟ وشكراً.

شكراً يا أخي ، فهذا الأستاذ قد أدرك خطأ من يقول: بأن العقل جاء صدفة، ومثلما أن الكمبيوتر وهو أقل تعقيداً وتنظيماً من الكون لا يأتي صدفة، فكذلك الكون وترتيبه وتنظيمه، والإنسان وعقله الذي استطاع أن ينتج الكمبيوتر، لا يمكن أن يأتي صدفة،

ولكن عالم الكمبيوتر لم يستطع أن يقول: آمنت بالله؛ لأنه سيطرد من وظيفته، وما أدراك فربما قالها في نفسه بعد أن تبين له الحق.

وأنا لا أشك أبداً بأن الإيمان قد دخل إلى قلب هذا الأستاذ بسبب موعظة الشاب المسلم، وجزاه الله خيراً على نباهته وحسن تصرفه إذ استطاع أن يستغل الوقت المناسب للدعوة، وهذا هو حال الإنسان المؤمن دائماً، وانظر إلى سيدنا يوسف عليه السلام كيف استغل حاجة صاحبيه لتأويل الرؤيا، فدعاهما للإيمان قبل أن يرد على تساؤلهما

(يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

... أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا)يوسف39.

المشاركة(4):عندما نجحت الثورة في إحدى الدول الشيوعية، وقف زعيم الثورة يخطب فيهم ويهنئهم بهذا الانتصار العظيم، ثم فتح له المجال للأسئلة فقال أحد الحاضرين:أيها الرفيق! إننا عشنا حتى رأينا الانتصار بأم أعيننا، وأكلنا من ثمرة ما قدمنا، ولكن الذين سقطوا قبل أن يروا هذا الانتصار فماذا نالوا؟ ولم يجد الزعيم ما يجيب به السائل، فأخذ يلف ويدور حتى اضطر أن يشعرهم بطريقة ما إلى أن هناك حياة أخرى يعيشها أولئك الذين ماتوا.

شكراً يا أخي ، وأود أن أسجل بعض الملاحظات على ما تفضلت به. أولاً: إن كلمة رفيق ليس حراماً في ديننا لقوله تعالى:

(وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا)

النساء69

ثانياً: الثورة عندما قامت كانت تعامل شعبها على أساس الاحترام المتبادل، ولكن هذا السائل لو سأل سؤاله هذا بعد عام، أو عامين من قيام الثورة لقامت قيامته، ولكان لهم معه شأن آخر.

ثالثاً: الشيوعية تنكر الآخرة، فان لم يعترف هذا الزعيم بالآخرة فسيبقى هذا السؤال يطارده، ويحيره.

رابعاً: إن الكافر أو الفاسق لا يحب أن يموت؛ لأنه يعلم بأن استقباله في الآخرة سيكون حافلاً، ولكن ليس بما يحب وإنما بما يكره

(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)

البقرة690

ولذلك فإن الإيمان بالله وباليوم الآخر، وبالقدر من عوامل الشجاعة والإقدام، وقول الحق، وهذا غير موجود عند من ينكرون أو يتنكرون للخالق العظيم.

المشاركة(5): بعض المتشككين سأل الشيخ قائلا: إذا كانت الجنة عرضها السماوات والأرض فأين يكون طولها؟

أجابه الشيخ قائلاً: لنفترض أن عندك قطعة أرض ثمينة جداً لكنها ضيقة وتقع في مكان مناسب تماماً، فماذا تفعل لكي تتسع هذه القطعة أكبر قدر ممكن من المخازن، والغرف؟أجابه السائل: في هذه الحالة لا بد من التوسع الرأسي فأجعل البناء عدة طوابق.

فقال الشيخ: أما تعلم يا بني أن الجنة درجات، والنار دركات؟فسكت المتشكك، ولكن الشيخ أضاف قائلاً: كما أن الله تعالى قال في آية أخرى:

(وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ)الحديد57

أي أنها واسعة جداً، فهو مجاز، والمطلق يحمل على المقيد في علم الأصول وَالْأَرْضِ

ثم إني أسألك ما الذي يحد السماوات من مشرقها، أو مغربها ، وهل هنالك مانع يمنع الله سبحانه وتعالى من أن يوسع ملكه يمنة أو يسرة.وشكراً

شكراً لك يا أخي وأحب أن أضيف بأن السماوات والأرض لا تبقى كما هي الآن، بل تتبدل السماوات والأرض،

(وَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا وتنسف الجبال)

طه 105فلا شيء مما تراه سيبقى على حاله يوم القيامة.

وقد ورد عن النبي أن السماوات والأرض بالنسبة للعرش ما هي إلا كحلقة ملقاة في فلاة...

الخ انظر: تفسير الطبري 10/3

ثمّ لنسأل هذا المتشكك لو كان معنا،أخبرني إذا جاء النهار أين يذهب الليل، وإذا جاء الليل أين يذهب النهار؟ وإذا أشعلت الضوء فأين يذهب الظلام،وأخيراً أن يختبىء عقلك حين تنام، وأين تستقر روحك التي بين جنبيك، وأين يكون ذكاؤك حين تصدق في منامك ما تستبين كذبه عندما تستيقظ؟

مشاركة(6) دخل جحا إلى بستان وبدأ يقلع بالفجل وعندما هم بالمغادرة، وإذا بصاحب البستان يقف فوق رأسه قائلا له:كيف سمحت لنفسك أن تدخل بستاني؟؟!!

. أجاب جحا بأن هناك عاصفة قوية دفعته حتى دخل البستان

سأله صاحب البستان :وكيف قلع هذا الفجل ؟؟!!

.أجاب : بأن عاصفة قوية جعلت الفجل يقتلع من الأرض

فسأله صاحب البستان: ومن الذي أدخل الفجل في الكيس؟؟!!

.عاصفة هوجاء فتحت باب الكيس وأخرى أدخلت الفجل إلى الداخل:

وأخيرا من الذي لف باب الكيس ورفعه إلى ظهرك وقال يا دائم؟؟-:!!!

.فقال جحا متأوها:- علمي علمك والله لا أدري ما أقول بها وشكرا!

شكرا للأخ الكريم وهكذا فالناظر كلما تفكر في دقة وإتقان خلق هذا الكون . كلما ازداد إيمانا بعظمة الحكيم الخبير جل جلاله.

والحمد لله رب العالمين